فى التربية والتعليم

الطفل والطفولة

للمربى الكبير الأستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

الطفل وأهمية دراسته

الطفل هو المادة الخام التى يتناولها المدرس بيده الماهرة ويغذيها بمعلوماته ويشكلها بفنه وأسلوبه فيخرج منها تلميذ الحاضر ورجل المستقبل . وبقدر ما يعرف المدرس عن طبيعة الطفل واستعداداته وميوله وقدرته على العمل وما يناسبه وما يصلح له فى كل دور من أدوار تعلمه بقدر ما يستطيع أن يأخذ بيده فى طريق التقدم والرقى ويحقق المهمة الملقاة على عاتقه والمسؤولية التى اضطلع بأعبائها على أصلح وجه وعن أحسن طريق .

وفى الحق إن المدرس فى حاجة إلى دراسة الطفل لا فى سن خاصة ولا فى الدور الواحد من أدوار حياته الذى يعلمه فيه فحسب وإنما فى كل دور من أدوار حياته المتصلة من بدء الطفولة إلى تمام البلوغ أكثر من تمكنه من مادته ودراسته لفن التدريس فهى وحدها الدراسة التى تساعد على تفهم شخصية الطفل ككائن حى قابل للنمو وللارتقاء وبميزاته العقلية وتربه بتمام الوضوح منابع تكوينه واستعداداته وتكسبه مرونة كافية لتعديل طريقة تدريسه وأسلوب معاملته لكل تلميذ على حدة حتى يلائم حاجاته

وبواسطتها يستطيع أن يمسك بكل خيط من خيوط تكوينه عند ظهوره فينسج من هذه الخيوط ثوب الحياة .

وقد يكون المدرس متمكنا من مادته . متفننا فى أسلوبه ولكنه مع هذا لا يتملك قياد تلاميذه ولا يستقيمون منه لمجرد أنه ينسى أنهم أطفال فيعاملهم كالبالغين ويكلفهم ما لا يطيقون فلا يحسنون عملا ولا ينفذون أمرا

الطفل والبالغ : —

وأشد ما يقع فيه المدرس الذى لا يعرف طبيعة الطفل من الخطأ أن يتصور أن الطفل آلة تامة التكوين يكفى أن يديرها فتدور وأن يأمرها فتنفذ وتسير فى الطريق الذى يدفعها فيه من غير ملل أو تعب ، وأن يفسر أعمال الطفل ويحكم على سلوكه وتصرفاته فى ضوء تصرفات البالغ وأعماله

فى حين أن الطفل ككائن حى ووحدة عقلية يخالف البالغ تمام المخالفة — فى كل نسيج وكل كرة دموية وكل خلية عظمية وكل عضو من أعضائه بل وفى مقاومته للمرض وتحمله للتعب والاستحمام والغذاء والتأثر بكل عنصر من عناصر البيئة كما تخالف دودة القراشة القراشة نفسها — فما ينطبق على أحدهما لا ينطبق على الآخر ومما يفيد البالغ قد يضر الطفل وما يكون رياضة للبالغ يكون إرهاقا له .

وليس هو بالغ مصغر عنده كل ما عند البالغ من استعدادات وميزات وإنما بصورة مصغرة . ولا البالغ طفل مكبر ولو كبرنا جسم الطفل بمقياس من البالغ لبعدنا عن صورة البشر ولو كبرنا عقله لكانت الصورة أغرب .

وكذلك ليس هو آلة تولد كاملة التكوين تقوم بكل ما يطلب منها عمله وتستفيد مما فيها من وظائف منذ نشأتها . ولكنه كائن حى عرضة للتغيير المستمر والنمو مع الزمن وفيه نزعات تدفعه إلى أنواع متعددة من الأعمال لا يصح أن تقاس من ناحية العقل أو ناحية الخلق بمقياس البالغين ، وفيه استعدادات إذا لم يتعهدها المربى فى حينها ويمرنها وينميها بما يوافق طبيعتها ويهيىء الظروف التى تساعد على إظهار ما هو كامن منها ، أو بالعكس تداخل فى طريق نموها وسرعتها قبل أوانها أضر به ضررا بليغا يبقى أثره فيه إلى آخر العمر .

فمن ألزم ما يلزم المدرس أن يدرس طبيعته ونموه البدنى والعقلى والخلقى ومراحل النمو وسرعته وما يطرأ عليه من تغيير وما يظهر فيه من استعدادات وبالجملة يعرف ذلك الشىء الذى أوكل زمامه إليه ليعلمه ويربيه

أغراض الطفولة

تولد الحيوانات الدنيا تامة التكوين كاملة الأجهزة فتستطيع أن تعيش وتعمل وتقوم بنفسها بكل ما يلزم لحفظ كيانها من اللحظة التى تولد فيها فالدودة مثلا تولد دودة كاملة لافرق بينها وبين الدودة الكبيرة وكلما ارتقى الحيوان فى المرتبة ازدادت حاجاته وتعددت مطالبه وتعقدت أجهزته حتى يستطيع أن يقوم بالأمور المعقدة التى تطلب منه فى المستقبل

ولذلك تطول مدة طفولته بقدر ما يلزم من الزمن لنمو أجهزته وتمرينها وإعدادها لتقوم بعملها على الوجه الأكمل ولما كان الانسان أرقاها جميعها وأجهزته أكثرها تعقيدا وأعماله وتصرفاته أشدها تنوعا لزم أن تكون مدة طفولته أطول ما يمكن وتكاد تكون هذه هي القاعدة العامة للحكم على مرتبة الأجناس الحية فكلما زادت المرونة وارتفعت نسبة الذكاء فالحيوان المخلوق ليتصرف فى بيئة بسيطة محدودة يزود منذ ولادته بقسط وافر من الأعمال الآلية التى تكفى لخدمة أغراض حياته المقبلة . فى حين أن البيئة المتغيرة القابلة للتقدم والارتقاء كبيئة الانسان تتطلب أجهزة من نوع أرقى وقدرة على التصرف أكثر تنوعا وتكييفا فالسمك يبلغ منذ الولادة والدجاج بعد أسابيع والكلب بعد عام أما الطفل الانسانى فهو قاصر جدا عن القيام بعمل ما مشهورا ومعتمد على غيره أعواما وغير ناضج عشرين عاما وقابل للتعلم الجزء الأكبر من قرن .

ولذلك يكون الطفل مرنا بالدرجة القصوى يتكيف ويتأثر بعوامل بيئته وقوى وراثته . ونفسيته مجموعة احتمالات تريد ان تتحقق وله حاجات ورغبات تمثل ضرورات نموه يريد أن يشبعها . ومعلومات يجب أن يكتسبها وعادات يتعودها متى يتأهل للدخول فى مصاف الرجولية

فالطفولة إذن هي دور المرونة والتكييف والتعلم واكتساب الخبرة وتثبيت العادات الطيبة وحذف الترعات الضارة ولكنها ليست مرونة مطلقة كمرونة الشمع تجعله قابلا لكل مؤثر .

وسنحاول فى فرص أخرى أن نذكر للمدرس أهم ما يجب أن يعرفه عن الطفل فى كل دور من أدوار حياته التعليمية ونبين له كيف يستفيد من مرونته واستعداداته ليربيه تربية صحيحة وينميه على أحسن حال ؟

محمد مظهر سعيد
أستاذ علم النفس
بمعهد التربية وكلية أصول الدين

آراء فى المرأة

« إذا كانت المرأة هي التى أفقدتنا النعيم فهى وحدها تستطيع أن تعيده إلينا »

« المرأة بيدها زمام العالم تصلحه متى شاءت وتفسده متى أرادت »

« لا شيء فى الوجود يرفع قدر المرأة كالعفة »

« المرأة الجميلة جوهرة والمرأة العاقلة كنز »

نظريات حديثة

بقلم الأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى
أستاذ الفلسفة وعلم النفس بالمدارس الثانوية الاميرية

ولا تظن أنى سألقى إليك نظريات حديثة حقا ، وأكثر من هذا فأن هذه النظريات التى سأحدثك عنها ليست لى ، ولم أقرأها فى الكتب وإن كنت قد تصفحتها خلال دراستى ، ولكنها لعالم من علماء التربية الذائعى الصيت فى هذا القرن هو الأستاذ « بيير بوفيه » مدير معهد جان جاك روسو فى جنيف بسويسرا ، الذى يلقى الآن بضعة محاضرات فى الجمعية الجغرافية الملكية . والأستاذ « بوفيه » فى طريقه إلى جنوب أفريقيا لحضور مؤتمر فى التربية ، وقد سبق له أن دعى إلى كثير من الممالك لحضور مؤتمرات فى التربية بها ، ولإبداء بعض الملاحظات وتنظيم الخطط ، واقتراح أفضل الوسائل التى يحسن اتباعها فى التربية الحديثة ، وقد كان فى تركيا وأسبانيا وأمريكا وغيرها ، فلما كان فى طريقه إلى جنوب أفريقيا انتهزت وزارة المعارف المصرية هذه الفرصة ، أو قل انتهز معهد التربية فرصة مروره بمصر فدعوه إلى التخلف أسبوعاً أو نحو ذلك لالقاء بعض المحاضرات فى التربية الحديثة . والأستاذ « بوفيه » ليس غريبا عن مصر ، أو قل مصر ليست غريبة عنه ، لأن صديقه وزميله المسيو « كلاباريد » هو الذى حضر إلى مصر فى عام ١٩٢٩ لدراسة نظم التربية الحديثة بها ، وهو الذى وضع نظام قياس ذكاء الطلبة المصريين ، واشترك معه فى ذلك الوقت الدكتور منصور فهمى وكان أستاذ الفلسفة بالجامعة المصرية ، والأستاذ إسماعيل القبانى وهو أستاذ التربية التجريبية بمعهد التربية . وكان لى حظ الاتصال بالأستاذ « كلاباريد » مع بعض زملائى من طلبة الجامعة فقمنا ببعض التجارب فى قياس الذكاء كنا بها الأستاذ ، وأسفرت هذه التجارب عن تقرير المسيو « كلاباريد » الذى انتهجته وزارة المعارف إلى حد بعيد ، ووضع الدكتور منصور فهمى رسالة باللغة الفرنسية عن التربية الحديثة فى مصر ، يجهل أسرها مع الأسف الكثيرون . .

ولقد استطردت فى الكلام عن هذا التاريخ القديم لأنه لم يسجل فى مصر قبل الآن على ما أعتقد ولأن الأستاذ « بوفيه » فى محاضراته أكثر من الكلام على صديقه الأستاذ « كلاباريد » مما أحيا هذه الذكريات القديمة .

وخلاصة ما قاله الأستاذ فى محاضراته : أن التربية الحديثة ، بطبيعة أمرها ، تمارض نوعاً

من التربية كان موجوداً وكان قديماً ، مما استدعى ابتداع هذه التربية الحديثة التى تخالف ما كان يوجد قبل ، وإلا لم يكن هناك من سبب يدعو إلى هذه التسمية الجديدة . وهذا يتطلب منا أن نعرف ماذا كانت تبغى التربية قديماً ، وماذا تنشد التربية فى العصور الحديثة ؟

أما التربية قديماً ، فكان الغرض منها تلقين الطفل المعارف والعلوم ، أو قل إنها كانت تعتبر الطفل عجينة يشكلها المعلم كيفما شاء ! أو هو كالشمع تنقش عليه ما تريد ؛ أو هو صفحة بيضاء ترسم عليها ما تبغي ؛ ونحن نستعمل هنا أو نستعير التشبيهات التى كان يقولها القدماء أنفسهم . وهذا الأسلوب من التربية يتطلب أن يكون الطفل آلة لاستقبال كل مايلقى إليه ، فهو منفعل غير فاعل ، وهو يتلقى الأشياء دون أن يبذل أى مجهود فى تحصيلها ، فالعلم بالنسبة إليه كالدواء يوضع فى الزجاجة أو فى « برشامة » ليسقاها أو يبتلعها فيصل ، إليه العلم .

أما الآن فالحال قد تغيرت ، إذ اكتشفوا للطفل ميولا وطبائع وغرائز ، ودرسوا الطفل من نواح متعددة ، من ناحية علم النفس ؛ ومن ناحية علم الحياة ، فتحقق العلماء أن أول ما يسود حياة الطفل النمو ، النمو الشديد الذى يحتاج إلى النشاط والحركة والحياة ، أكثر مما تظهر فى الشاب أو الرجل أو الكهل . وإذن فمن العبث أن نمنع عن الطفل الحركة والنشاط ، بل يجب أن نسايرها ، وإذن فالتربية الحديثة لا تعتبر الطفل شمعاً ينقش عليه العلم ، بل حركة دائمة هى التى تسعى لاستقبال المعرفة والعلم . ولذا أصبح الطفل فى نظر العلماء الحديثين فاعلا — لا منفعلا — وهذا هو الفارق الأساسى الذى يدور عليه الخلاف بين القديم والحديث .

هذا الذى يقوله الأستاذ « بونيه » حق لا نستطيع أن ننكره ، ولكن لو أن المحاضر كان ممن درس الفلسفة الإسلامية ، لعلم أن هذه النظريات الحديثة ، ليست موجودة فقط فى كتب الفلاسفة الإسلاميين ممن كتبوا كثيرا عن التربية والأخلاق ؛ كالغزالى وابن مسكويه ، ولكن هذه النظريات كانت تطبق بالفعل فى المدارس الإسلامية المختلفة . وهذه المدارس كما نعلم كانت تقام فى المساجد ، وأكبر مثل حى لها هو الجامع الأزهر ، وكانت طريقة التدريس فيه تقوم على أحدث نظم التربية . فلا توجد هناك كتب مقررة وإنما مراجع مستفيضة ، ولا يوجد هناك منهج ثابت . ولكنك تستطيع الحضور على الشيخ الذى يعجبك ، وتنصت إلى الدرس فى أى حلقة تشاء .

ولكن الأزهر مع الأسف الشديد بدأ يتغير فى نظامه الجامعى ، وفى هذا القضاء على حرية ميول الطلبة فى تلقى العلم .

ولعل أحد المشتغلين بالتربية ، ومن المتصلين بالأزهر أن يكتب لنا عن هذا الأسلوب القديم فى التدريس فأنه مفيد حقاً . ؟

محمد فؤاد الشواربى

هل تعلم ؟

١ — أن فى مدينة شيكاغو رجلا حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه بطريق الكهرباء وبعد أن كشف عليه الطبيب المختص وكتب شهادة بأن عملية الاعدام تمت بنجاح سلم إلى ذويه تبعا للنظم الأمريكية فأجرى الأطباء أسعافات ردت له الحياة وهو الآن تحت تمريض وبصر اليوليس يروح ويغدو حى يرزق .

٢ — وأن ساعة صاحب السمو الملكى أوف ويلز سرقت فى إحدى الحفلات رغما من شدة الرقابة حول سموه ثم ردها السارق إليه ليحصل على شهادة فى البراعة السينمائية .

٣ — وأن فى أمريكا الآن ٢٣ مليون جائعا يحتاجون إلى القوت الضرورى بسبب الاختلال التجارى والصناعى ولعدم هطول الأمطار .

٤ — وأن فى متحف اللوفر بباريس صورة لرأس الأسرة العلوية الكريمة تعد من أنفس نفائس المتحف .

٥ — وأن أكبر جامعة فى العالم جامعة كولومبيا فى نيويورك لأنها تحوى أكثر من ٣٢ ألف طالبا .

٦ — وأن روكفلر الكبير وهب من ماله ١٣٠ مليونا من الجنيهات .

٧ — وأن من وقائق الجماد ما تتصرف تصرف الخلايا الحية بمعنى أنك لو أذبت قليلا من ملح الطعام فى الماء ووضعت نقطة منه على لوح من الزجاج تحت المكرسكوب فانك تشاهد بلورات الملح تتكون أشكالا مربعة منخفضة من الوسط ورقائق البلورات تتحرك حركة منتظمة وتبنى من نفسها أشكالا بديعة لكل نوع منها شكل خاص كأنها خلايا حية .

٨ — وأن زيادة عدد سكان القطر المصرى حسب إحصائية الحملة الفرنسية فى سنة ١٨٠٠ إلى تعداد سنة ١٩٢٧ بلغت ٥٥٦ و ٧٠٨ و ١١ نفسا ؟

محمد الشوربى

مدرس بمدرسة صالحجر الأولية

(نقابة التربية)

الثقافـــــة والتعليم

وعلاقتهما ببعضهما كعنصرين مختلفين

للثقافة فى نظر التعليم قيمتان واضحتان : أولها القيمة الذاتية ، وثانيها القيمة التربوية ، وللقيمة الذاتية بعد ذلك قيمتان أيضاً ، فأن الثقافة لها قيمة ذاتية ناشئة عن القوة التى تمد بها السيطرة على الطبيعة والعالم المحيط بنا ، وهذه هى ما يسمونها غالبا « الثقافة المفيدة » وهى تضم كثيرا من الحقائق العلمية ، لكن هناك نوعاً آخر من الثقافة ليس له فائدة عملية فى ذاته ولكن المجتمع الانسانى هو الذى يجعلها ذات قيمة ذاتية ، فان أفعال المجتمع وتقاليده ليس لها قيمة فى حد ذاتها ولكن العادات الاجتماعية هى التى تجعل لها هذه القيمة ، وقد يبدو هذا التمييز غير جدوى فى شىء ، ولكن أهميته من حيث التعليم عظيمة لا نظير لها كما قال هربرت سبنسر

فان هناك طريقة للتعبير عن مرامى التعليم وهذه هى قولنا : « أن التعليم يعد المتعلم للحياة فى البيئة التى تحيط به » ، وقد قال الدكتور مور أحد فلاسفة التربية والتعليم : « أن طرق التعليم تنحصر فى تكييف البيئة بحيث يستطيع المتعلم الاندماج فيها واتخاذ الطريق السوى للحياة خلالها » .

وقد قال لنا أيضا الدكتور توماس دقيدسون فى محاضرة قيمة أن « التعليم هو إنشاء العالم » يرى بذلك إلى أن التعليم ينحصر فى إنشاء عالم داخلى يستقر فى جوف العالم الخارجى تمام الاستقرار وهو لا يقصد بذلك أن يكون العالم الداخلى صورة طبق الأصل من العالم الخارجى ، وليس هو مثيله ، بل هو عالم يتجلى فيه الميل والمكنة والاتجاه ، وهو عالم القدرة على تصريف الأمور تصريفا معقولا فى جميع مواقف الحياة الحقيقية ، وهذا العالم الداخلى يمكن بناؤه بتغذية المتعلم بالتجارب المناسبة ، فمهمة المدرسة فى الواقع ونفس الأمر « هى تغذية المتعلم بالتجارب الصحيحة التى تؤهله لجميع مواقف الحياة ومراكزها »

ولقد قال لنا الأستاذ فرنكلين جونز فى كتابه « قواعد التعليم » : إن المدرسة إذا لم تستطع تغذية المتعلم بالتجارب فى وضع أدق نظاما من التجاريب التى يتلقاها من

غيرها فلا معنى لوجودها ، إذ من الواضح أن الأساليب العادية للحياة تفضى إلى بناء عالم داخلى يمكن الفتى من السلوك فى البيئة التى يوجد بها ، فميزة المدرسة إذن أنها هى التى تختبر وتنظم الحقائق الهامة على حسب ترتيب أهميتها من حيث الوقت والمكان ، فهى توفر على المتعلم الوقت وتوفر عليه ما يصادف من تجاريب غير مرغوب فيها — إن لم نقل خطرة متعبة .

لكن هناك وجها آخر نستخدم فيه الثقافة كأداة تعليمية ، فبغض النظر عن قيمتها الذاتية فأن الثقافة تلعب دورا هاما فى طرق التعليم فتكون بمثابة حجر المسن تشحذ عليه مواهب المتعلم ، على أن هناك خلافا كبيرا على القيمة النسبية للمواد العلمية المدرسية كأدلة لتربية العقل ، ولكن الاتفاق عام على أنه حين تختلف قيمها وتتباين فأن لكل مادة علمية قيمتها فى شحذ المواهب وتربية العقل .

ونستطيع الآن أن نضيف إلى هذه العناصر التى أسلفنا ذكرها عنصرا آخر هو عنصر الزمان ، فلو قلنا أن طلب العلم يكون من المهد إلى اللحد ، فلا نستطيع أن ننكر أن المتعلم هو الشخص الصغير عادة واصطلاحا ، والواقع أن هناك مدى لتلقى العلم على نحو طبيعى ، وهذا المدى اختلف طولا وقصراً اختلافا عديداً فى تاريخ هذا العالم وهو يختلف فى جميع البلاد باختلاف نصيبها من الرقى والتقدم ، فقد مالت بعض الأمم فى عصرنا هذا إلى إطالة مدى تلقى العلم لكنها فى الوقت نفسه لاقت معارضة فى إطالته ، فكانت هذه المعارضة صيباً فى اعتبار هذا المدى أساسياً فى فن التعليم .

وقد قال لنا (جان جاك روسو) . أن تلقى العلم يبدأ منذ تتصاعد أنفاس الطفل وتدب فيه الحياة بعد وضعه ، ولكن (فروبل) يدع هذا لأهلية الطفل وصلاحيته .

فبغض النظر عن هذا وذاك فأنه وإن كان التعليم الخاص يبدأ فى ساعة مبكرة إلا أن التعليم الفعلى أو الحقيقى لا يمكن أن يبدأ إلا إذا حان السن المدرسى ، فأذا رجعنا إلى وثائق التعليم فى البلاد المختلفة ، لوجدنا هذا السن يتراوح بين السادسة والسابعة على وجه عام ، على الرغم من أنه نزل عن ذلك عندما قطع العالم المتمدين شوطا بعيدا فى طرق التعليم فأنشأ رياض الأطفال والمدارس التحضيرية .

أما الحد الأقصى فقد اتفق الجميع على أن تكون الثامنة عشرة هى نهاية التعليم الثانوى ، والثانية عشرة الى الرابعة عشرة نهاية التعليم الابتدائى .

والذى يهمنا من هذا كله تعيين الحد الأقصى لتلقى العلم المدرسى وانه ليخيل إلينا أن هذا الحد هو الرابعة والعشرون ، فقد دلت التجارب على أن سنة التفاؤل والاعتبارات

الاقتصادية رغمنا على أن نرسم الخط بوضوح عند هذا الحد ، على أن التجارب هي المحور الذي يجب أن تدور حوله بحوثنا في مدى التعليم .

وإذا تحولنا إلى الفيلسوف أفلاطون نجده يرفع الحد الأقصى إلى الخامسة والثلاثين وحتى إلى الخمسين ، ولكن رفع الحد إلى هذا المقدار يجب أن لا يتناول ألا أمثاله من النخبة المختارة في هذا العالم ، فهو لا ينطبق على الناس جميعاً .

(عن المرجون ادامس)

الأناة ! . .

الأناة روح الحياة وعنصره ، وهي سر من أسراره كامن بين الجوانح لا تستثير دفينه إلا الأعمال فيتجلى في مظهر خلاب ، تهفو إليه الأفئدة وتتطاول إليه الرقاب ، وهنالك يبصر المرء شعاعا من نور اليقين يبدد سحب المضلات ، فهي آلة نافعة تديرها يد العقل ويسوسها الفكر ، وهي دلالة على حصافة العقل وضياء اللب ، وصدق العزيمة ، ومن صبت نفسه للنجاح فليرق سلمه ، رصين القدم ، يقظ الفكر ، بعيد غور الصبر وأسدل بينه وبين الغرور حجابا كثيفاً لئلا تموه عليه زخارفه .

الأناة ممدوحة في كل شيء إلا في الفرص ، وهي تلك الحوادث العرضية التي تلوح في سماء الحياة كالبروق الخاطفة فلا تدركها إلا الأبصار اليقظة ، وكم من فرصة سنحت ثم توارت كأن لم تسنح ولو اغتنمت لكانت ينبوع نفع عميم ، فهل من الحكمة التمهل عند الفرص وتركها تحتجب وراء سحب الغفلة ؟ .

وليت شعري هل يغمض القانص طرفه إذا سنحت له طريدة حتى تشرد منه في البيداء . أم يخطو إليها متثاقلا يتعثر في مشيته كالذي يتخبطه الشيطان من المس ؟ كلا إنه لحالم تاه في شعاب الرؤى ، وهذا مثله مثل من إذا لاحت الفرص له جنح إلى الأهمال ، وما الأهمال إلا ابن الغفلة ، وما الغفلة إلا داء يسري في النفس فيطفىء ضياء الأفكار ويفتر العزائم ويعشي الأبصار .

الأناة عاصم من الزلل وواق من الخلل ودواء للعلل ، بل هي قانون يتمشى مع الجنين في بطن أمه والطفل في مهده والشاب في طوره والكهل في رزانته والشيخ في حصافته . فهي ينبوع العز ومنهل نيل الآمال . ؟

فتا

عمر العزيز عمر الله

رئيس مدرسة حجيرات فتا

ما بين العقل والجسم

المثل العليا التربية

بقلم الأستاذ محمود فهمى خريج جامعة لندن

أول ما يتهيأ له المشرفون على التربية فى بلاد الانجليز جنوحهم إلى التبسط فى البحث العلمى وصمودهم إلى التجاريب ما يتصل منها بروح العمل الذى يضطلعون بأعبائه . وما يتصل بها بتلك الحوائى التى تحوط دائماً جوهر البحوث . والعلماء الانجليز قد اكتسبوا فى التربية هذه الفطرة التى درجوا عليها . وعاشوا فى أكنافها قروناً مديدة ، وهى فطرة البصر بدخائل الحقائق بصراً قوياً . وفى أناة بالغة ، وذلك ما يبعدهم عن التحمس لما يصلون إليه من نجاح : وإنهم ليبلغون من هذا « البرود » المكسوى إربتهم فى كل شىء ، حتى فى التربية ، التى تعتبر فى وجهتها العلمية نتاجاً للتفكير النظرى .

وإنه لحقيق بنا وقد مهدنا لهذا الكلام بكشف الستار عن عقلية الانجليز . علماء متخصصين فى التربية ، ورجالا لا صلة لهم بالتربية إلا هذه الصلة المدرسية التى ربطت مابينهم وبين هذا الفن فى عهدهم الدراسى ، أقول أنه حقيق بنا أن نسكب الشعاع على ناحية من نواحى العقلية الانجليزية فيما يعلق بتربية الطفل فى مدرسته . بل فيما يعلق بهذه الناشئة التى يهيؤونها لمستقبل مجهود بالجليل الرائع من الأعمال . فهل قرأتم ما اصطنعه وزير الداخلية فى بلاد الانجليز . لبوفر الصحة والقوة على أولئك الأطفال الذين يمرحون ويدرسون بين أبهاء المدارس الأولية على ضفاف التاميز ؟ هل قرأتم أن هذا الوزير قد فطن إلى وفرة ما تنتجه حقول الألبان فى بلاده ، فعمد إلى توفية الأطفال حقهم من الأقطار أول الصباح لبناً سائغاً ، دون أن يدفعوا شيئاً ، بل دون أن يكون ما يدفعونه مرهقاً لذويهم ؟ إن فى هذا الصنيع لدلالة قوية على أن العقلية الانجليزية لا تمى إلى حشد الرؤوس بالنظريات وما إليها من ألوان الفنون حشداً لا يذيع فى هذه الرءوس غير العى والكلال والخيبة ، وإنما هم يعمدون إلى تحقيق أسباب الصحة لهذه الجسوم التى يصنعونها لتكون فى هيكل الدولة عروقاً خافقة بالدم والحياة ، وهم من أجل ذلك يعنون العناية الفائقة بكل ما من شأنه إزاحة الأوضار والأوصاب عن هذه الجسوم .

وإذا كان من حقنا أن نبحث فى نتائج هذه التربية الصحية من وجهة تأثيرها فى المجتمع

الإنجليزى لا يصح من الحكم علينا أن نقف بك طويلا طويلا حتى نتأمل هذه السليقة التى جعلت من كل انجليزى رجلا رياضيا يقبل فى شغف ولهفة على ممارسة الرياضيات ، وإنه لمن مميزات الرجل الرياضى أنه يحب المجازفة ويكره العطلة والقعود ، وأنه يتوفر على تنسيق حياته فى تفوق كامل لهذه الحياة ، وأنه يشعر برجولته شعوراً قوياً شائعاً فى نفسه وفى كل جارحة فيه ، وأنه يتدافع إلى الصراحة تدافع المزنة الفياضة فى إطلاق صيبها على الأرض الجرداء ، والموطن الجديب ، وأنه يضن فى توفية كرامته حقها دون أن يبالى ما تتشده هذه الكرامة لكى تكون عزيزة بارزة الأثر عليه . وتلك فضائل يطول الشرح فى تناولها لأسباب الخير .

إن الذين خلقوا لتكوين المجتمع تكويناً لا غضون فيه قد استوعبوا هذه المثل التى انصرفت إليهم من بلاد الانجليز ، فراحوا يطبقونها فى بلادهم ويزيدون عليها بالقدر الذى تتطلبه البيئة التى يعيشون فيها ، وإنك إذ تلمح رواج التعليم فى الهواء الطلق بدولة مثل « ألمانيا » يوزك بلا ريب هذا العمل الذى يدعون به إلى إنضاج الجسوم والعقول ، .. فهل لنا بعدئذ أن نلتمس هذه المثل فى مصر ؟

يخيل لى أنك ستضحك ملء شدقيك أيها الصديق الأستاذ الذى تستقبل أطفالك فى مدرستهم مع الصبح لتودعهم مع الليل ، ستضحك كثيراً . وكثيراً . حين تبصر اليهم ينصرفون إلى حجرات الدراسة جياشة « جيوبهم » بالخبز والملح ، وما إلى الخبز والملح من طعام يفسد دورة الدم . ويرمى على الجسم الغض أعباء الأوصاب ، ثم إنك ستضحك كثيراً وكثيراً ، حين تبصر إليهم وقد وفدوا على مدرستهم مدثرين بهذه الملابس الثقيلة حسباناً من ذويهم أنها وقاية لهم من شرويل . . . أتدرى ياصديقى الأستاذ أن هذين القرينين يعوقانك عن البلوغ بأطفالك فى تثقيف أولئك الأطفال ما تريد . . ؟ أتدرى أن هذه الروح المنطوية على أعمق الخوف إنما تخلق من ناشئتنا رجالا لا كالرجال . تملأهم طراوة وضيعة . ورجولة ناقصة ، وإسرافا فى التهرب من لا شىء ؟ .

لست أدعو إلى الأخذ بهذه المثل التى عرفتها فى الغرب جملة واحدة فما فى طوقنا أن نقلب أوضاعنا رأساً على عقب . وإنما أدعو إلى الأخذ بها رويداً رويداً حتى نخرج للجيل الجديد أمة مصرية حقيقة بالحياة على مرحة الكفاية فى أكناف النيل العظيم .

حول العقل - ٢

والخطأ دليل العمل كما يقولون ، فمن لا يعمل لا يخطئ ، طبعا ومادامت طرائق التفكير متباينة وطرائق الحياة متباينة أيضا ومادام العمل مهمة مشتركة بين الناس جميعا ، وسلسلة منطقية آخذ بعضها برقاب بعض — وإلا فهل رأيت إنسانا يعمل عملا صغيرا أو كبيرا مستقلا مقطوعا لا صلة بينه وبين عمل الآخرين ؟ اللهم إلا إذا كان هذا الانسان يعمل عمله وحيدا في غيابة المريخ أو من يدري لعل هناك أناسا كما يزعم بعض الفلكيين فيشاركونه عمله — ما دامت الحال على هذا الذي أسلفت فأن من العسير جدا أو قل من المستحيل أن يوفق المرء بين عمله وعمل الآخرين التوفيق اللازم ... اللهم إلا إذا اتحدت طرائق الحياة واتحدت عقلية الناس جميعا وأهواؤهم ولو تم ذلك لاضطربت الحياة « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ».

ولبوفق المرء بين عمله وعمل الآخرين التوفيق اللازم للنجاح المنشود وجب عليه أن يستعين برأي النصيح وبنصيحة الحازم ومن هنا وجبت مجالس الشورى أو ما يقوم مقامها للانتهاض بالأعمال القومية على خير ما يرام ، فمن شروط النجاح أن يعود عمل المرء عليه وعلى غيره بالسعادة دون أن يؤذي أحدا في طريقه وإلا فقد أخطأ .. ! وهذه هي الأنانية العليا

ولكن من ذا الذي في هذه الأيام الملتاثة الزاحمة يراعي حين يأتي عمله مصلحة الآخرين ؟!

أفرأيت إلى فلسفة السوبرمان ، أي الانسان الأعلى الذي ينشده الفيلسوف « نيتشه » ؟ خلاصة هذه الفلسفة أن الغلبة للأقوى والبقاء للأصلح وأما الضعيف فيجب أن يفنى أمام رهبوت القوي وطغيانه وليست هناك الرحمة ولا الإيثار ولا ما إليهما من ضروب الاحسان !!

مادام هذا التباين في طرائق التفكير وفي طرائق الحياة وفي مناحي العمل وتوزيعه على العاملين ، وفي غايات الناس منه ، مادام كل أولئك وأقوى فالخطأ فرض محتوم على العاملين بقدر هذا التباين ! ولكل جواد كبوة ! وأرجو ألا يفهم من هذا أن يعجز المرء عمله اعتباطا وإسوبه على أية حال مادام الخطأ مفروضا محتملا أو اتكالا على ما يسمونه الحظ فالحظ ليس كل شيء في الحياة فأن نجاح المرء يكون لتسعين في المائة من مجهوده الشخصي ولعشرة في المائة من حظه كما يقول أريسون العصامي الخالد ، فمن الخطل إذن أن ينعى المرء المخفق على الحظ (العاثر) ويتسخط على الأيام ويتمنى لو تخطفته الطير أو هوت به الريح في مكان سحيق فليس هذا بنافعه شيئا كما رأيت

وإن من العقل أن ينتفع المرء بأخطائه وأخطاء غيره فيتقيها في المستقبل المنشود والله سبحانه وتعالى « لا يضيع أجر من أحسن عملا »

عبد الحميد علي أبو العطا

مدرس

بين الأم والطفل

يجد الطفل أو أب الرجل أو العالم الأصغر كما يقولون عناية كبيرة فى البلاد الأجنبية ويقومون بهذه العناية لا بعامل الجنو وحده بل بعامل الوطنية أيضاً ولا تقتصر العناية فى البيت وحده بل فى المدرسة كذلك فى البيت تنشئه أمه المتعلمة على الشجاعة والخصال الحميدة وعلى حب بلاده ويقولون أن المرأة الألمانية تعطى طفلها قطعة من الحلوى وتقول له هذه ألمانيا ثم تعطيه قطعة أخرى « حنطية » الطعم وتقول له هذه فرنسا ، فيشب محبا لألمانيا كارها للبلد الذى يشاكسها . ويقولون إن المرأة اليابانية تنشئه على التفانى فى خدمة الامبراطورية اليابانية ولذلك يعللون سبب انتصار اليابان فى الحرب الروسية والحرب الصينية ويعللون تبرع خمسمائة شاب منهم بحياتهم حينما طلبت الحكومة خمسة أشخاص فى تجربة « طرادة حربية » .

وعنايتهم فى المدرسة لا تقف عند حد حشو ذهنه بالمعلومات بل تحبب إليه المجازفة والمخاطرة واستثمار الأموال فى المستعمرات . وهذا ما يقوله مؤلف سر تقدم الانكليز « ويشاهد عليهم ناظر المدرسة الكتب الواردة من حكومة المستعمرات ما تفيدهم من تقدمهم يقول . . . حتى إذا أيفعوا لا يتحدثون فى مجالسهم عن الأزياء والسهرات وزمن الحناء بل حديثهم التزاحم فى الحياة » .

وعناية البيت بالطفل عندنا لا تتعدى ـ كما تعلم ـ التخويف من الأغوال والعفاريت فينشأ جبانا وعديماً بقر لأقل الأصوات بل كثيراً ما يصبح الكثيرون منا قائلون « يمه » وهذا من أثر التربية المنزلية المعروفة ولا تتعدى أيضا الضرب المبرح على أتفه الأسباب وهذا يدعو الطفل إلى اختراع الأكاذيب التى تنجيه من العقاب ولا تتعدى المقاسحة « الشدة » فى المعاملة وفى المثل الانكليزى « إذا أردت أن يصبح ابنك رجلا فى طفولته فعامله معاملة الرجال » .

وعنايتنا بالطفل فى المدرسة لا تزيد عن حشو ذهنه بالعلوم ليجتاز الامتحان « فى الشهادة » وبعدها يتخبط فى امتحان الحياة

وعنايتهم لا تقف عند الطفولة بل بعدها وقبلها وهذا ما يقوله مؤلف أول القرن التاسع عشر « تبتدىء التربية قبل الولادة بزمن طويل » لأن من المحقق الذى لا شك فيه أن فى أجيال البشر أنواعاً من الاستعداد الوراثى ينتقل من الآباء والأمهات إلى الأبناء . . . ولذلك كان

اليونانيون يحيطون نساءهم مدة الحمل بالتماثيل والصور الجميلة » .

وواجبنا أن نعتنى بالأم قبل العناية بالطفل فنخرجها من الجهل الذى يحيط بها ومن الخرافات « والخزعبلات » التى تفسد عليها عقلها وهذا ما يعده كاتب عصرى الخطوة الأولى فى تربية الطفل بقوله « والذى أراه أن العنايه بالأم هى الخطوة الأولى للعناية بالطفل لأنها هى قالب للطفل يفرغ فيه فيتشكل بشكله إلى حد محدود وهو صورة ماثلة فى الوجود تنطق بدلائل الصلة الوثيقة بينه وبين هاته التى ضمته أحشاؤها فهو جميل المحيا باسم الثغر قوى البنية مادامت أمه فى دعة ومرح وانطلاق ، وهو دميم ضعيف القوى ما كانت أمه فى شقاء وشده من الحياه ، والعناية بالأم تخرج لنا طفلا قويا عاملا للوطن وللانسانية ، وتأثير الجنين بحالة أمه النفسية والجسدية لا نزاع فيه بل تؤيده الحياة فى كل يوم تأييداً والآسة سهير القلماوى تقول فى ذلك « وقد زاد عدد الوفيات وعدد الاصابات فى الاطفال لأن الأم أجهل ما تكون بقواعد الصحة وكيفية مراعاتها والأم المتعلمة لا تعنى صحة طفلها كما يجب وتظن أن الطفل ما دام لا يشكو ألما معيناً فهو فى كمال صحة وعافية » . ورحم الله شوقى بك إذ قال :

وإذا النساء نشأن فى أمية ... رضع الرجال جهالة وخمولا .

مرسى على نوفل

مدرس بمدرسة بنها الاميرية

مأثورات

« للرجل العظيم قلبان قلب يدمى وقلب يتجلد »

« أشد الناس كآبة ، كئيب لا يعرف سبب كآبته »

« ما أحقرك فى نظر من يمدحك لجائزة »

« لم أجد فى الحياة سوى قضيتين أو ليتين هى « الجمال والحق » أما الجمال ففى قلوب المحبين وأما الحق ففى سواعد العمال » .

ألا بعدونى عمن يقول أنا كالشمعة أذيب نفسى ليستضىء الناس بنورى وقرنونى بمن يشعر أنه يستضىء دائما بأنوار الناس » .

دمياط

أحمد حامد عمر الله